التّذكير الحميد لاغتنام يوم عرفة بالعمل الصّالح الرّشيد والإستعداد ليوم العيد

2021-07-16

الحمد لله الذي فاضل بين الليالي والأيّام. وعظّم حرمة شهر ذي الحجة الحرام. وكرّم عَشْره الأولى بيوم عرفة المفضَّل على سائر الأيّام. وأكمل فيه الدّين وأتمّ الإنعام. ورضي لعباده المومنين دين الإسلام. وجعله مَوسما لعِتق الرقاب ومغفرة الذنوب والآثام. ومَتْجرا رابحا لنَيْل الإفاضات الربانية والمواهب الجِسام. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أكرَمَنَا بيومِ عرفاتٍ. ليُضاعِفَ لنَا فيهِ الحسناتِ. ويرفَعَ لنَا الدَّرجاتِ، ويستجيب لنا فيهِ الدعوات، ويغفرُ لنا الزلات، ويعفو عن السيّئات. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبد الله ورسوله. الذي اصطفاه على الخلائق وشرّفه. وبالرأفة والرحمة وَصَفَه. وخيرُ مَن طاف بالبيت العتيق ووقف بعرفة. ودعا الله تعالى بالمشعر الحرام بعد أن بات بالمَزدلِفة. فصارت المشاعر ببركته مُعظَّمة مُشرَّفة.

يا أُمّةَ المصطفى يا سادةَ الأُمَمِ * هذا محمّدُنا طريقُهُ واضِحُ
وبهديهِ مهما اهتديتمْ تُفلِحُوا * وإذا أردتمْ في الأمورِ تنجَحُوا

صلّوا عليه في كل حينٍ تربَحُوا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد النبيّ الطاهر الأبرّ. وعلى آله ذوي العزّ الشامخ والنسب الأفخر. وعلى صحابته المخصوصين بالإيمان الكامل والسرّ الأبهر. صلاة تتحفنا بها برضوانك الأكبر. ونكون بها ممّن حجّ البيت وقبّل الحجر. ووقف بعرفة وحلق ونحر. وختم حجّه بزيارة سيّد البشر. سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وسلم. وجال في مدينته الطيّبة ومتّع فيها النظر. ونال بالتبرّك بآثاره الشريفة غاية الوطر. بفضلك

وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لا نزال نتقلّب في هذه الأيام المباركة التي عظّم الله شأنها ورفع مكانتها، ألا وهي أيام عشر ذي الحجة، تلك الأيام الفاضلة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ العمل الصالح فيها يضاعف إلى أضعاف كثيرة، أخرج البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ. يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)). وقد مضى ثُلُثَا هذه الأيام، فمَن كان فيها محسنًا فليزدد من الإحسان وليسأل اللهَ القَبول، ومَن كان فيها مقصِّرًا ومفرِّطًا فليتدارَك ما بقي منها، فقد بقي منها أفضل أيّامها وأكرمها على الله تعالى، هذا اليوم هو يوم عرفة، ذلك اليوم العظيم الذي أكمَل الله فيه الدين. وأتمّ به النعمة على المؤمنين. أخرج البخاري في صحيحه. عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)). قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ. يوم عرفة. ذلك اليوم الذي عَظَّمَ اللهُ أَمْرَهُ، وَرَفَعَ عَلَى الأَيَّامِ قَدْرَهُ، وَزَانَهُ بِالْفَضْلِ وَنَوَّرَهُ، وَأَفَاضَ عَلَيْنَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ مَا يُوجِبُ علينا شُكْرَهُ، فَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ المولى عزّ وجلّ. ولا يقسم ربّنا إلاّ بعظيم، فقال سبحانه في سورة البروج:((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)). روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:((الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ. وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ)). يوم عرفة هو أساس الحج وركنه العظيم، الذي قالَ عنهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كما عند الإمام أَحمَد وَأَصحَاب السُّنَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((الحَجُّ عَرَفَةُ)). ومَن لم يقف بعرفة فلا حج له، أيّها المسلمون. فِي هذَا اليومِ العظيمِ. يتجلَّى اللهُ علَى عبادِهِ. فيستجيب لَهُمُ الدُّعاءَ. ويغفرَ لَهُمُ الذُّنوبَ. ويعتِقَهُم منَ النَّارِ. رَوَى الْبَزَّارُ وَابْنُ حِبَّانَ

وَالطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((وَأَمَّا وُقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ يَقُولُ: عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا مِنْ كِلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ؛ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرَهَا، أَوْ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُورًا لَكُمْ وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ)). أخرج الحاكم في مستدركه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ)). وفي غمرة هذا الموقف المؤثّر. يتخاذل الشيطان ويتصاغر. وتتهاوى وساوسه. وتذهب شروره صريعة. أمام صدق الدعاء. وخالص التضرّع والرجاء. فتشرق أرض عرفات بأنوار صلة قلوب المومنين بربّها وخالقها. فلا يبقى فيها شبر ولا موضع قدم. إلاّ وقد أصابه غيث عفو الله ورحمته. روى الإمام مالك رضي الله عنه في الموطأ. عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال:((مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ)). وَحَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. وَهُوَ يَرَى الْجُمُوعَ الْغَفِيرَةَ، وَالْكَثْرَةَ الْكَثِيرَةَ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهَا رَحَمَاتُ البرّ الودود، في هذا اليوم المشهود. وَهُمْ في حالة الذلّ والإنكسار. يُرَدِّدُونَ شَهَادَةَ التَّوْحِيدِ للواحد القهّار، راجين منه عتق رقابهم من النار. روى مسلم في صحيحه. عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ؛ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ؟)). وَفِي عَرَفَةَ. يَتَفَضَّلُ اللهُ ذُو الطَّوْلِ وَالإِنْعَامِ. عَلَى عِبَادِهِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ. فَيَهَبُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَيُعْطِي مُحْسِنَهُمْ مَا سَأَلَ، روى ابن ماجه عَنْ سيّدنا بِلاَلِ بْنِ رَبَاحٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ غَدَاةَ جَمْعٍ. يَعْنِي: صَبِيحَةَ مُزْدَلِفَةَ:((يَا بِلاَلُ أَسْكِتِ النَّاسَ)) أَوْ ((أَنْصِتِ النَّاسَ)) ثُمَّ قَالَ:((إِنَّ اللهَ تَطَوَّلَ أَيْ تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا؛ فَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، إِدْفَعُوا بِاسْمِ اللهِ)). وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كان عشيّة عرفة.لم يبق أحد في قلبه مثقال حبّة

من خردل من إيمان إلاّ غُفر له. قلت: يا رسول الله أهل عرفة خاصة؟ قال: بل للمسلمين عامّة)). بسبب هذه الفيوضات الإلاهية الغامرة. والرحمات الربانيّة الوافرة. التي تزخر في أجواء عرفة. أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:((الْحَجُّ عَرَفَةُ)). أيّها المسلمون. لقَدْ أرشدَنَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلَى مَا ينفعُنَا ويرفعُنَا. ويكفّرُ عنَّا سيئاتِنَا. ويقرّبُنَا مِنْ ربِّنَا في هذا اليوم العظيم. ففي صحيح مسلم عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ)). وذكر الطبراني في الكبير أنّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضي الله عنهما قالَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ: كُنَّا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَعْدِلُهُ بِصَوْمِ سَنَتَيْنِ. ورَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنهم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). فهنيئاً لِمَنْ وفَّقَهُ اللهُ تعالَى فِي هذَا اليومِ لطاعتِهِ، وانشغَلَ بذكْرِهِ وعبادَتِهِ، وَعَمّرَ قلبَهُ برجائِهِ، وتضرَّعَ إليهِ بدعائِهِ، وحفظ فيه جوارحَه عن الوقوع في الشر. إمتثالا لقول خير البشر. كما في مسند الإمام أحمد عنه صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قال:((إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ)). أيّها المسلمون. إنّ الْيَوْم العَاشِرِ من هذه الأيّام هُوَ يومُ النَّحْرِ. وَهُوَ يَوْمُ عِيدِ الأضحى. وَهُوَ يَوْمُ الحَجِّ الْأَكْبَرِ. فِإِنَّهُ يُشْرَعُ فِيهِ لِغَيْرِ الحَاجِّ عِبَادَتَانِ عَظِيمَتَانِ. الأُولَى صَلَاةُ العِيدِ. وَالثَّانِيَةُ. ذَبْحُ الأَضَاحِي. فَأَمَّا صَلَاةُ العِيدِ. فَهِيَ شَعِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الإِسْلامِ. يَجْتَمِعُ فيها الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. مُرَدِّدِينَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ. وَمِنْ سُنَنِها الاغْتِسَالُ. وَلُبْسُ أَحْسنِ الثِّيَابِ. والتَّطَيُّبُ. وَالذَّهَابُ مِنْ طِرِيقٍ إِلَى الْمُصَلَّى وَالعَوْدَةُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ. وَأَمَّا الأُضْحِيَةُ فَهِيَ سُنَّةُ أَبِينا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ. وَهَدْيُ نَبِيِّنَا سيّدنا ومولانا مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام. وَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ. ولا تَصِحُّ إِلا بِالشُّرُوطِ التَّالِيَةِ: الأَوَّلُ. أَنْ تَكُونَ مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ. وَهِي الإِبِلُ وَالبَقَرُ وَالغَنَمُ. الثَّانِي. أَنْ تَبْلُغَ السِّنَّ الْمُعْتَبَرَةَ شَرْعاً. قال الشيخ الفقيه ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى في الرسالة: وَأَقَلُّ مَا يُجْزِئُ فِيهَا مِنْ الْأَسْنَانِ الْجَذَعُ مِنْ الضَّأْنِ وَهُوَ ابْنُ سَنَةٍ. وَقِيلَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ

أَشْهُرٍ، وَقِيلَ ابْنُ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ. وَالثَّنِيُّ مِنَ الْمَعْزِ وَهُوَ مَا أَوْفَى سَنَةً وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ، وَلَا يُجْزِئُ فِي الضَّحَايَا مِنْ الْمَعْزِ وَالْبَقَرِ وَالْإِبِلِ إلّا الثَّنِيُّ، وَالثَّنِيُّ مِنْ الْبَقَرِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، وَالثَّنِيُّ مِنْ الْإِبِلِ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ. الثَّالِثُ. أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِن العُيُوبِ الْمَانِعَةِ مِنَ الإِجْزَاءِ. وَهِيَ مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ اَلْبَرَّاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اَللَّهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فَقَالَ:((أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي اَلضَّحَايَا. اَلْعَوْرَاءُ اَلْبَيِّنُ عَوَرُهَا. وَالْمَرِيضَةُ اَلْبَيِّنُ مَرَضُهَا. وَالْعَرْجَاءُ اَلْبَيِّنُ ظَلْعُهَا. وَالْعَجْفَاءُ اَلَّتِي لَا تُنْقِي أي الهزيلة التي لا مخّ في عظامها)). رَوَاهُ اَلْخَمْسَةُ وَصَحَّحَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّان. فَهَذِهِ العُيُوبُ الأَرْبَعَةُ مَانِعَةٌ مِن إِجْزَاءِ الأُضْحِيَةِ، وَيُلْحَقُ بِهَا مَا كَانَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ. الشَّرْطُ الرَّابِعُ. أَنْ يُضَحِّيَ بِهَا فِي الوَقْتِ الْمَحْدَّدِ شَرْعَاً. وَهُوَ مِنْ بَعْدِ ذبح الإمام. لآخِرِ الْيَوم الثَّالِث مِنْ أَيَّام النَّحْرِ. والنَّهَار شرط في الضَّحَايَا. فلا يجزئ ما وقع منها لَيْلاً. ويأكل الرجل من أضحيّته ويتصدّق منها أفضل له. وليس بواجب عليه. وعظِّموا عبادَ الله هذِهِ الأيامَ، فإنَّها عظيمةٌ عِنْدَ ذي الجلالِ والإكرامِ، واسْتَبِقُوا الخيراتِ، وتنافَسُوا في الباقِيَاتِ الصَّالحاتِ. ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)). ((وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ)). ((وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)). ولاتنسوا رحمكم الله إخوانكم المحتاجين. من الفقراء واليتامى والمساكين. ومَنْ عجز منكم عن حج بيت الله الحرام في هذه العام. فليقصد رب البيت. بشكره في هذه الأيام. بالإنفاق والتّصدّق على ذوي الحاجات. وخاصّةً الأقارب والأرحام. من بعض المال الذي كان قد عدّه وجهّزه لأداء الحج. ليكون من الذين يشمَلَهم قولُ حَبْرِ هذه الأمّة. وترجمان القرآن. سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. حيث قال: لَأَنْ أَعُولَ أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعة أو ما شاء الله. أحبّ إليّ من حَجَّة بعد حَجّة، ولَهَدية أُهْديها إلى أخٍ لي في الله. أحبّ إليّ من دينارٍ أُنْفِقه في سبيل الله. ويشهد لذلك ما رُوِي عن التابعي الجليل سيّدنا عبد الله بن المبار ك رضي الله عنه. كان عالمًا زاهدًا، وغنيًا كريمًا، وكان يحج عامًا ويجاهد في سبيل الله عامًا. كانت تلك سيرته وحياته، وفي العام الذي نوى فيه الحج. وقد كان حج قبل ذلك أعواما كثيرة، خرج بالليل ليودِّع أصحابه قبل السفر إلى مكة، وبينما هو

يمشي ليلا إذ به يجد عجوزا تنحني على مَزْبَلَةٍ وتأخذ منها دجاجة ميّتة وتخفيها. وتمشي بها، فناداها الإمام عبد الله بن المبارك: ماذا تفعلين يا أَمَةَ الله؟ فقالت له: يا هذا أترك الخلق للخالق. فلله في خلقه شؤون. فقال لها: ناشدتك الله أن تخبريني بأمرك. فبكت تلك العجوز وقالت: أَمَا وقد أقسمتَ عليَّ بالله. فلأخبرنّك يا عبد الله. أنا أرملة. وأُمّ لأربع بنات يتامى، إشتدّ بنا الحال، وليس معي شيء من المال، وطرقت أبواب الناس. فلم أجد وراء الأبواب قلوبا إنّما وجدت وراءها حجارة، فخرجت ألتمس عشاء لبناتي اللاتي أحرق لهيب الجوع أكبادهنّ. فرزقني الله هذه الميتة. وقد أحلّ الله لنا الميتة عندما قال:((فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). وهنا تفيض عَيْنَا ابن المبارك بالدمع فقال لها: يا أمة الله هذا مالي الذي كنت سأحج به هذا العام، والحمد لله قد أدّيت الفريضة من قبل، خذي مالي كلَّه. واجعليه سرّا بينك وبين الله. فأعطاها المال كلَّه. وذهب إلى بيته وقال لزوجته: لا تخبري أحدا بشيء، وإن سألوك لماذا لم يحج عبد الله هذا العام؟ قولي لهم: الله أعلم. وبعدما ذهبوا حجّاج بلده وعادوا من بيت الله الحرام إلى بلدهم، ما جلسوا في مجلس إلا وأثنوا على عبد الله بن المبارك خيرا وقالوا فيه: جزاه الله خيرا، ما جلسنا في مجلس في مكة أو في المدينة إلا كان عبد الله معنا يدارسنا العلم والتفسير. فسمع عبد الله بن المبارك أقوال الحجّاج فيه. وتعجّب كثيرا. وقال: أنا لم أفارق بلدي ولم أذهب إلى مكة وما زرت المدينة هذا العام، ما هذه الحَيْرة وما هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء؟؟ اللهم دلّني على الأمر يا رب. فنام في ليلته ذاك اليوم، ورأى في منامه رجلا يشعّ النور من جبينه، وتشرق علامات الرضا من جبهته. ما رأى مثله قط، فيقول له: السلام عليك يا عبد الله. ألستَ تدري مَنْ أنا؟؟ أنا محمد رسول الله. حبيبك في الدنيا. وشفيعك يوم القيامة، جزاك الله خيرا عن أمّتي وعنّي، لقد أكرمك الله كما أكرمتَ أمّ اليتامى. وسترك كما سترت اليتامى، إعلم يا عبد الله. أنّ الله تعالى خلق مَلَكًا على صورتك. أدّى الحج عنك. وجلس مع أهل بلدك، إعلم يا عبد الله. أنّ الله تعالى كتب لكل حاج ثواب حجّة، وكتب لك هذا العام ثواب سبعين حجّة. ويشهد لذلك أيضا ما رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنّه قال:((مَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُورًا، إِلَّا

خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ مَلَكًا يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمَدُهُ وَيُوَحِّدُهُ، فَإِذَا صَارَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ، أَتَاهُ السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَنِي عَلَى فُلَانٍ، أَنَا الْيَوْمَ أُؤْنِسُ وَحْشَتَكَ، وَأُلَقِّنُكَ حُجَّتَكَ، وَأُثَبِّتُكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُ بِكَ مَشْهَدَ الْقِيَامَةِ، وَأَشْفَعُ لَكَ مِنْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأُرِيكَ مَنْزِلَكَ مِنَ الْجَنَّةِ)). فما أسعدَ المسلم المتصدِّق في هذه الأيام المباركة بإدخال السرور بصدقته على المسلمين. وليطمئنَّ مَنْ نوى الحج وتَخلَّف عنه لعذر بأنّه بنيّته الصادقة مثابٌ كمَنْ أدّاه. فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا منَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ:((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ:((وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)). ورحم الله ابن العريف المالكيّ إذ يقول وهو يعبّر عن حرارة شوقه. وبُعْدِه عن الحرمَيْن الشريفَيْن :

يَا سَائِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ * سِرْتُمْ جُسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وعن قَدَرٍ * وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

فتعرَّضُوا عبادَ اللهِ لرحمةِ اللهِ؛ واغتنِمُوا يومَ عرفةَ لتجديدِ إيمانِكُمْ وتوبتِكُمْ، وأكْثِرُوا مِنَ العملِ الصالِحِ مِنْ ذكْرٍ ودعاءٍ وقراءةٍ وصلاةٍ وصدقةٍ. نسأل الله ربّ البريّات. بحرمة حبيبه أشرف المخلوقات. سيّدنا محمّد عليه من ربّه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات. نسأله سبحانه أن يعيننَا علَى عملِ الصَّالحاتِ. ويوفّقنا لصيامِ يومِ عرفاتٍ. ويتقبَّلْ منَّا الدعوات. ويجعلنا ممّن نظر إليهم بعين الرضى في الحياة وبعد الممات. فنالوا بذلك أعلى درجات الجنّات. في جوار سيّد السادات. وشفيع المخلوقات. سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. اللهم وفّقنا فِي هَذِهِ الْعَشْرِ لِسُلُوكِ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ، وَلُزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَكْرِمنَا بِمَا فِيهَا مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْوَاسِعِ الْعَمِيمِ. اللهمّ أكرمنا بما أكرمت به أولياءك الصالحين. وتعطّف علينا بما تعطّفت به على أحبّائك المتّقين. وأتحفنا بما أتحفت به أصفياءك المخلصين الموقنين. وعاملنا بما عاملت به خوّاصّ أفرادك الواصلين الكاملين. وأمتنا على حبّهم وسيرتهم. ولا تخالف بنا على نهجهم وسنّتهم. مستغيثين إليك بسيّد المرسلين. وأفضل الخلق أجمعين. سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. فلا

تردّنا يا مولانا خائبين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.اه